استخـــدام التكنولوجيا الحديثة وتنمية القدرة التواصلية

(مهارة الاستماع نموذجا)

حفيظة النحراوي[1]

ملخص

بعد الوصف الصوري الذي قدمه تشومسكي للقدرة النحوية، باعتبارها شاملة للقدرة اللغوية، ظهر مفهوم الكفاية التواصلية الذي قدمه هايمز للقدرة اللغوية، معتبرا أن هذه الأخيرة تضم مجموعة من الكفايات: الكفاية الخطابية، والكفاية اللسانية، والكفاية البراغماتية، والبين ثقافية، والاستراتيجية. الشيء الذي أعقبه بناء مقاربة تواصلية تهدف إلى إكساب المتعلم معظم هذه الكفايات، حتى يتمكن من أداء اللغة بشكل يتوافق مع الأداء الفطري للمتكلم.

وتعتبر مهارة الاستماع أهم المهارات الأربع، والتي أولتها الطريقة التواصلية أهمية كبرى، ويختلف "الاستماع التفاعلي" عن الاستماع العادي في الطرق الأخرى، نظرا لاختلاف المقاربات التي تمخضت عنها تلك الطرق، ولكونه يحاكي الاستماع الذي يتعرض له المتكلم الفطري، والذي يضم مجموعة من المعلومات اللغوية التي تخص أنحاء الكفاية التواصلية، إضافة إلى أنه يستقي مسموعه من اللغة اليومية للمتكلمين الفطريين عبر معينات ديداكتيكية خاصة.

ولا شك أن الوسائل التكنولوجية التي غزت عصرنا الحالي، والتي أصبحت جزءا من حياتنا وحياة المتعلم، لها عدة أدوار تربوية وتعليمية تعلمية، يمكن الاستفادة منها ما أمكن ذلك، خاصة في مسألة تعليم اللغة وتعلمها، كونها تمكن المتعلمين من الانغماس في بيئة اللغة الهدف، وتوفير مساحة للاستماع إلى اللغة اليومية والاحتكاك بالمتكلم الفطري، عبر مجموعة من البرامج والتطبيقات التي ساهمت بشكل كبير في خدمة اللغة.

سنحاول في هذه الورقة البحثية، بيان دور هذه الوسائل التكنولوجية، في بناء القدرة التواصلية عبر مهارة الاستماع، وتقديم نماذج من هذه التطبيقات المساعدة على ذلك.

الكلمات المفاتيح: الكفاية التواصلية- المتكلم الفطري -المهارات الأربع- الاستماع التفاعلي- التيكنولوجيا - المعينات الديداكتيكية الخاصة.

[1] طالبة باحثة بسلك الدكتوراه بكلية علوم التربية بالرباط

Aabstract

After the description of language competence by the linguist Noam Chomsky, a sociolinguist named Dell Hymes (1967) came up with the notion of communicative competence as a reaction to Chomsky's concept. He assumed that the language competence has many constituent elements in addition to a grammatical. He included a Discourse, Pragmatic, Intercultural, and strategic competences. His claim Turns the field of second language teaching on its head and gives researchers the opportunity to build a communicative approach based on this view.

The new approach paid great attention to listening skill. It offers a new perspective on how to teach it and present it to SLA learners. Considering that communicative listening should reflect the same characteristics that native speakers use in their communication, this approach stressed the need to use authentic didactic materials.

There is no doubt that the technological means that have invaded our current era and become at the disposal of most learners play an important role in language teaching and learning. They enable learners to be immersed in the target language environment, and they provide them with a space to listen to authentic language and come into contact with its native speaker. This is usually done through a set of programs and applications.

In this paper, we will try to demonstrate the role of these technological means in building communicative competence through the listening skill, and we will provide some examples of these applications in order to enlighten the readers of this paper.

***Keywords**: communicative competence - the native speaker - four skills - communicative listening - technology - authentic didactic materials.*

1. من القدرة النحوية إلى القدرة التواصلية:

تعتبر القدرة التواصلية من المفاهيم المعاصرة التي خلقت جدلا واسعا في الأدبيات التربوية الحديثة، والتي أتاحت الفرصة للباحثين لإعادة النظر بشكل جذري في الكيفية التي يتم بها تقديم اللغة للمتعلم، وكيفية بناء طرق التدريس. وقد جاءت هذا المصطلح كرد فعل على مصطلح القدرة (Compétence) الذي جاء به تشومسكي قصد بناء نظرية لسانية تحاكي التصور النحوي الموجود في الذهن دون تدخل للاختلالات التي تصيب لغة الفرد أثناء إنجازه للغة من حالات نفسية ووضعيات تواصلية مختلفة، فالقدرة في نظره: هي النحو الخام الذي لا تشوبه حالات الفرد كيفما كانت، والتي يمر منها المتكلم السامع. وهي بذلك تختلف عن مصطلح الإنجاز (Performance). ويقصد به: الاستعمال الحقيقي للغة أثناء المواقف التواصلية، والذي تتدخل فيه مجموعة من العوامل، التي تساهم في عدم عكسه للقدرة اللغوية بشكل صحيح؛ كالتعب والنسيان مثلا، والحالات المرضية. من أجل هذا كله سعى تشومسكي إلى بناء تصور نحوي يحاكي القدرة اللغوية، وافترض وجود متكلم فطري لا يتأثر بالعوامل السابقة الذكر، كونها غير محصورة ولا تعبر عن القدرة اللغوية كما هي، ولعل سيبويه في مناظرته التاريخية مع الكسائي، قد وقع في نفس ما تجنبه تشومسكي، نظرا لبنائه النحو على ما هو عام يحاكي القدرة لا الإنجاز الفردي.

غير أن هذا التوجه الذي نهجه تشومسكي، أعقبه نقد لاذع من أنصار التيار الوظيفي، أبرزهم الباحث ديل هايمز (1967)، والذي رفض ما سماه تشومسكي بالمتكلم الفطري، معتبرا أنه لا يعبر عن لغة الأفراد كما هي في أرض الواقع، وأنه تخييل خارج عن نطاق اللغة كما هي، معوضا إياه بما أسماه بالقدرة التواصلية، ويقصد بها: معرفة كيفية استخدام اللغة ومناسبتها للسياقات التواصلية، والظروف التي يمر منها الفرد. فمعرفة الجانب النحوي حسب هايمز، لا يجعل من المتعلم متكلما باللغة، ويلزمه استخدام مجموعة من القدرات التواصلية الأخرى قصد تبليغ الرسالة اللغوية للمتلقي، وبالتالي فإن القدرة النحوية التي جاء بها تشومسكي، ما هي إلا جزء بسيط من المعرفة اللغوية الكامنة في ذهن المتكلم الفطري باللغة.

2. **نماذج للقدرة التواصلية:**

عندما سلط هايمز الضوء على الإشكال الدائر حول افتراض تشومسكي، تنبه مجموعة من الباحثين إلى هاته المسألة، فكان أن قدم بعض منهم نموذجا خاصا به للقدرة التواصلية، كالباحث باخمان (انظر الناجح، 2021، ص: 29) الذي قسم القدرة اللغوية، إلى قدرة تنظيمية، تتضمن كلا من القدرة النحوية أو اللسانية، وقدرة نصية: تهم الأنساق اللغوية والتنظيم البلاغي، ثم القدرة الذريعية التي قسمها إلى قسمين: قدرة إنجازية وقدرة سوسيولسانية، وتضم هذه القدرات، مجموعة من المعلومات اللغوية المتضمنة في ذهن المتكلم الفطري للغة ، والتي يجب تقديمها للمتعلم قصد تحقيق ملكة لغوية متكاملة.

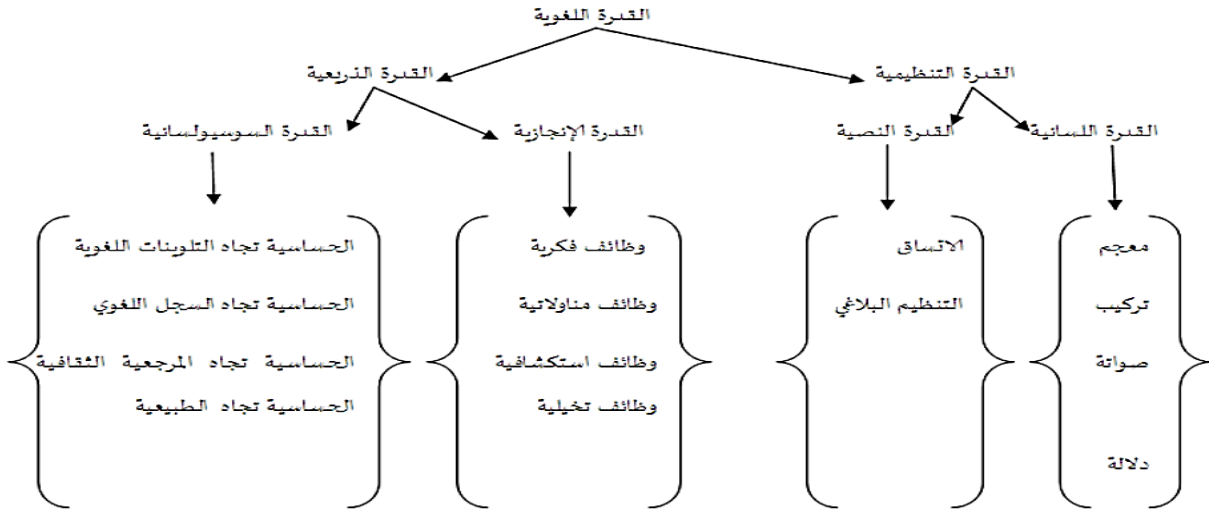

الخطاطة (1): نموذج باشمان (1991)

وقد ذهب كل من أوس خوان ومارتينيز فلور (انظر خوان ومارتينيز، 2008، ص: 161): إلى أن القدرة التواصلية تضم خمسة عناصر أساسية، واعتبرا أن القدرة الخطابية: هي قلب القدرة التواصلية، على اعتبار أن كل القدرات تصب فيها. وتخدم هذه الأخيرة باقي الكفايات، ويمكن عرض هذه الكفايات على النحوي الآتي:

1) الكفاية الخطابية **Discourse competence**: ويتم تعريفها على أنها اختيار وتسلسل الكلام أو الجمل لتحقيق نص متماسك مكتوبا كان أو منطوقا بناء على غرض وسياق معينين.
2) الكفاية اللسانية **Linguistic competence**: تشير إلى جميع عناصر النظام اللغوي، من قبيل الصرف والتركيب والمعجم اللازمة لتفسير أو إنتاج نص منطوق أو مكتوب،
3) الكفاية البراغماتية **Pragmatic competence**: وتشير إلى مناسبة المقال للمقام، وتعرف أيضا بالمعرفة

الوظيفية المتضمنة في الكلام المراد فهمه أو إنتاجه، إضافة إلى العوامل السياقية التي تؤثر على ملاءمتها.

4) الكفاية البين ثقافية **Intercultural competence**: وتعني معرفة كيفية تفسير وإنتاج الجمل في سياق اجتماعي وثقافي معين، وهي بذلك تنطوي على معرفة بالعوامل الثقافية مثل قواعد السلوك الموجودة في مجتمع معين والتشابهات التواصلية بين الثقافات.

5) الكفاية الاستراتيجية:**Strategic competence** وهي معرفة استراتيجيات التعلم والتواصل، كملء الفجوات والالتفاف على كلمة لا يفهم المتعلم معناها وما إلى ذلك.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى تفرع الكفاية التواصلية إلى عناصر أخرى، كل حسب تصوره مما أنتج لنا مجموعة غزيرة من التصورات للكفاية التواصلية وطرق تفاعل مكوناتها.

3. مهارة الاستماع وأهميتها:

تعد مهارة الاستماع "أول مهارة لغوية يتم اكتسابها بصفة طبيعية، وهي مهارة استقبالية **receptive skill**، لأنها تقتضي استعمال حاسة السمع والقدرات الإدراكية في الدماغ، لإدراك الأصوات اللغوية المسموعة" (النهيبي ماجدولين، 2020، ص 59)، ويجدر بنا في سياق تعريف هذه المهارة، الإشارة إلى المهارات اللغوية الأخرى، والتي يمكن تقسيمها إلى مهارتين طبيعيتين: وهما الاستماع والمحادثة، ومهارتين صناعيتين: وهما الكتابة والقراءة. ويتم اكتساب هذه المهارات بصفة تدريجية من الاستماع إلى التحدث ثم القراءة فالكتابة.

فالاستماع هو أول ما يشتغل عند الإنسان من مهارات، ويجعله يستوعب ما في اللغة من إيقاعات، وهي مهارة لها صلة وثيقة بما يلحقها من مهارات، بل أساسها وركيزتها.

وقد أولت جل النظريات اللسانية أهمية للاستماع، على رأسها النظرية التوليدية: التي اعتبرت الاستماع أهم المهارات اللغوية، والكفيلة بتثبيت المتعلم لوسائط لغته الفطرية، نظرا لكون الكلام الذي يسمعه الطفل متضمنا لتلك الوسائط اللغوية، فالجمل التي يسمعها في بيئته، تتضمن نحوا داخليا يمكنه من عزل ما تتضمنه لغته من قواعد وتميزها عن باقي القواعد الكلية.

وتمر هذه المهارة اللغوية من مجموعة من العمليات يمكن حصرها فيما يأتي (تايغي، 2013، ص: 3.2) فيما يلي:

1) **السماع:** ويشير إلى الاستجابة الناتجة عن الموجات الصوتية، التي تحفز المستقبلات الحسية للأذن، وهي الانتباه الناجم عن المحفزات الصوتية الخارجية.

2) **الفهم:** ويقصد به تحليل المحفزات المسموعة، والمعاني المرتبطة بها، ووظيفتها ضمن السياق الذي قيلت فيه.

3) **التذكر:** وهو أهم العمليات، لكونه لا يعبر فقد عن التقاط المحفزات السمعية، بل انتقائها وتخزينها في

الذاكرة.

4) **التقييم:** في هذه المرحلة من مراحل الاستماع، يقوم المستمع بفرز الحقيقة من الكذب، وتحديد ما إذا كان هناك تحيز في الرسالة الصوتية أو لا، ثم تقديم تقييم شامل للرسالة.

5) **الاستجابة:** وهي آخر العمليات التي يقوم بها المستمع، وتعني ردة الفعل تجاه المسموع، والتي قد تتخذ شكل ردود لفظية أو غير لفظية، وهي إشارة للمرسل بأن المتلقي قد استلم الرسالة وحدد مقصودها بنجاح.

4. مهارة الاستماع ضمن المقاربة التواصلية:

تولي المقاربة التواصلية أهمية كبيرة لمهارة الاستماع، عكس الطرق التقليدية للتدريس، وتختلف أهداف وكيفية تدريس هذه المهارة في هذه الطريقة عن باقي الطرق الأخرى، فالاستماع التفاعلي أو التواصلي ، يحاول أن يحاكي الاستماع الذي يتعرض له المتكلم الفطري للغة، والذي يضم مجموعة هائلة من المعلومات اللغوية مثل: التراكيب والأصوات والمفردات، والسياق الذي تستعمل فيه تلك المفردات، وغير ذلك، وبما أن الهدف من تعلم اللغة هو التواصل بها مع متكلميها، فإن الطريقة التواصلية شددت على ضرورة تزويد المتعلم بمسموعات من اللغة اليومية المتداولة في مجتمع اللغة الهدف، وتجنب المفردات المهملة ، ولن يتم ذلك إلا باستعمال معينات ديداكتيكية أصيلة ، مستقاة من المصادر نفسها التي يعتمدها المتكلم الفطري من قبيل: الوضعيات التواصلية الحقيقية ومسموعات الراديو والتلفاز وغيرها.

ولجعل هذا الاستماع أكثر فعالية، لابد من بناء أنشطة تواصلية هادفة. حيث يقترح (تسينغونغ، 2010، ص: 465) أنه على واضعي المقررات الدراسية، اعتماد الاستماع كما هو على حاله في الحياة الواقعية، والذي يتسم بعدة سمات لخصها الباحث في:

1) نستمع لهدف وتوقعات معينة.
2) نقوم باستجابات مباشرة وغير مترددة تجاه ما نسمعه.
3) نرى الشخص الذي يتحدث إلينا (في حالة الوضعية التواصلية الحقيقية والمباشرة).
4) هناك قرائن بصرية وبيئية للمعاني التي نسمعها.
5) الخطاب الذي نستمع إليه ينطق عبر مقاطع.
6) معظم ما نسمعه عفوي، ويختلف عن الخطاب الرسمي من حيث التكرار الوارد فيه والضوضاء المحيطة به والمفردات العامية.

ويرى الباحث أن هذه الخصائص يجب أن تدمج فيما يسمعه المتعلم من لغة داخل الفصل الدراسي، حتى يتسنى له اكتساب مهارة الاستماع في شكلها الطبيعي. وعليه فإن على الأستاذ أثناء محاولته تدريس هذه المهارة

التفكير في هذه السمات التي ذكرنا سابقا، حتى يتسنى للمتعلم تعلم جل خصائص الخطاب المسموع كما هي في الواقع.

5. تكنولوجيا التعليم الحديثة وأنواعها:

5.1. تكنولوجيا التعليم لغة:

تكنولوجيا (**Technologia**) هي كلمة إغريقية قديمة، مشتقة من كلمتين: هما (**Techne**) وتعني مهارة فنية، وكلمة (**Logos**) وتعني دراسة، لذلك فإن مصطلح تكنولوجيا يعني تنظيم المهارة الفنية (انظر سالم وسرايا، 2003، ص: 14).

5.2. تكنولوجيا التعليم اصطلاحا:

يشير مصطلح تكنولوجيا التعليم إلى جميع المعدات الديداكتيكية التي يتوسل بها قصد تقديم مادة معينة للمتعلم، أو قصد تخزين معلومات، أو معالجتها أو تحليلها. ويقابلها في اللغة العربية مصطلح: تقنيات التعليم، أو (التقنات) وهو من المصطلحات الحديثة في الوطن العربي، و تعرف أيضا بأنها "عملية تحويل المواد الأولية إلى منتجات وخدمات جاهزة من خلال الطرائق والأساليب والأدوات والمعدات، وكل ما له علاقة بهذا التحويل" (انظر جمعة و نوري، 2015، ص: 148)، ويشر محمد سالم(2003)، إلى أن هذا المصطلح يتعدى كونه مجرد مواد وأدوات وأساليب وتقنيات نظرا لكونه يشمل كل ما في التعليم المعاصر من وسائل، ومن ذلك وضع جداول الحصص الدراسية باستخدام الحاسوب مثلا، والتركيز على الوسائل التكنولوجية في العملية التربوية، ونرى صدق ما يرمي إليه الباحث بشكل جلي في واقع المدارس المغربية في عصرنا الراهن، حيث إن التكنولوجيا قد تغلغلت داخل المنظومة التعليمية بشكل إيجابي، خصوصا في فترة جائحة كورونا التي عززت هذا الارتباط بين ما هو تكنولوجي وما هو تعليمي.

ويمكن تقسيم تكنولوجيا التعليم إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

1) التكنولوجيا السمعية: وهي جل التقنيات التي تعتمد على الأصوات والمسموعات بشتى أنواعها (موسيقى، كتب مسموعة، إذاعات الراديو...)
2) التكنولوجيا البصرية: ويقصد بها التقنيات المرئية مثل: الصور والكتب الإلكترونية والملصقات الإليكترونية، والشاشات التفاعلية.
3) التكنولوجيا السمعية البصرية: وهي تقنية تقوم على دمج ما هو سمعي وما هو بصري، مثل التلفاز والحاسوب واللوحات الإليكترونية.

6. دور التكنولوجيا الحديثة في تنمية مهارة الاستماع:

تؤدي التكنولوجيا الحديثة دورا بالغ الأهمية في تنمية المهارات اللغوية لدى المتعلمين، بما في ذلك مهارة الاستماع التفاعلي أو التواصلي، لكونها تمكن من الوصول السريع إلى الكتب المسموعة أو الأشرطة المسجلة أو الفيديوهات، لتمكن المتعلم من الانغماس في بيئة اللغة الهدف حتى وإن بعدت المسافات بنهما. وتوفر هذه الأخيرة مساحة لمتعلم اللغة الثانية، من الاستماع إلى اللغة اليومية، بعيدا عن لغة الكتب الرسمية. إضافة إلى أنها تمكنه من الاستماع إلى مجموعة من التنوعات اللغوية واللهجات المختلفة، والتعرف على المفردات الأكثر ترددا في مجتمع اللغة الهدف، وتتيح له أيضا فرصة مخاطبة المتكلمين الفطريين للغة والتفاعل معهم، فيما يمكن أن نصطلح عليه بالانغماس الافتراضي الذي لا يحتاج صاحبه إلى تجشم عناء السفر إلى بلد اللغة الهدف.

ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى مجموعة من البرامج والتطبيقات التي تسهم بشكل كبير في تنمية مهارة الاستماع، وتوفر للمتعلم جل خصائص المسموع التي أشرنا إليها أعلاه، وهي كالتالي:

6.1. تطبيق يوتيوب YouTube:

تطبيق يوتيوب: هو تطبيق مجاني لمشاركة الفيديوهات ومشاهدتها، وهو بذلك تطبيق يعتمد على سمعي بصري، ويضم هذا التطبيق مجموعة متنوعة من الفيديوهات التعليمية والترفيهية. وغير ذلك من المواد الرقمية التي من شأنها أن تقدم لمتعلم اللغة معلومات عن الحياة الواقعية لمجتمع اللغة الهدف. وعرض محادثات واقعية للمتكلمين الفطرين، ويقدم كذلك معلومات عن ثقافة الناس وعاداتهم وأساليب حياتهم. كما يمنح للمتعلمين فرصة التعليق والدردشة مع أقرانهم. إضافة إلى تمكين المعلم أيضا من تحميل مقاطع على منصة يوتيوب ومشاركتها مع المتعلمين سواء داخل القسم أو خارجه. كما يسمح للمتعلم بإعادة الفيديو والاستماع إليه من جديد والزيادة من سرعة الكلام أو إبطائه، حتى يتسنى له الاستماع إلى الكلام وفق مستواه في مهارة الاستماع.

6.2. تطبيق هلو تالك Hello talk:

هو تطبيق مجاني، يساعد المتعلمين على إيجاد متحدثين فطريين للغة التي يريدون تعلمها في جميع أنحاء العالم. ويضم هذا البرنامج رسائل نصية أو صوتية ومحادثات فيديو مع المتكلمين الفطريين للغة الهدف. إما أشخاص عاديين أو معلمين متخصصين في اللغة الهدف. كما يتميز بعدة أدوات مساعدة تمكن المتكلمين الفطريين من تصحيح خرجهم وتقييم أدائهم.

6.3. هيا بنا نلعب ونتعلم:

تطبيق ناطق يعلم أسماء الفواكه والألوان بشكل تفاعلي، وهو برنامج بسيط يحتوي على مسموعات للمبتدئين في تعلم اللغة.

6.4. تطبيق **TEDx**:

تطبيق يضم مجموعة واسعة من الفيديوهات المتنوعة من شتى المجالات وبعدة لغات، ومزود بمجموعة من المميزات كالترجمة، وإمكانية تنزيل الصوت أو المحادثات والاحتفاظ بها قصد إعادة الاستماع إليها.

خاتمة:

ختاما، يمكن القول إن الوسائل التكنولوجية الحديثة أضحت واقعا يفرض نفسه علينا بقوة، وعلى واضعي المناهج التربوية الاستفادة منها فيما يخدم المتعلم وييسر له سبل المعرفة، خصوصا فيما يتعلق بتعليم اللغة وتعلمها. حيث أصبحت الوسائل التكنولوجية تعد أهم المصادر المعتمدة في الدول المتقدمة لتحسين وتسريع وتيرة التعلم، نظرا لكونها تقدم مجموعة من الخدمات التي تعجز باقي الموارد التقليدية تقديمها للمتعلم، بما في ذلك مسموعات مستقاة من بيئة المتكلم الفطري وأشرطة فيديو ووثائقيات عن الحياة اليومية للأفراد، إضافة إلى أنها تمكن المتعلم من التواصل الافتراضي مع المتكلمين الفطرين ومع باقي المتعلمين في سائر بقاع المعمورة.

لذا فقد أصبح من الضروري تطوير برامج تعليمية وتطبيقات عربية الصنع تهم المتعلمين العرب، وليس فقط الاقتصار على ما تجود به البلدان الغربية من برامج؛ لكونها قد لا تلبي حاجات متعلمي اللغة العربية بما فيه القدرة على التواصل. نظرا لواقع اللغة العربية الفصيحة في العصر الراهن، والذي طغت عليها الدوارج الشيء الذي قد ينعكس سلبا على مخرجات المتعلمين، مما قد يؤدي إلى الخلط بين العامية والفصحى لذا فإن إحياء اللغة العربية رهين بمدى حضورها في الوسائل التكنولوجية والتطبيقات التعليمية، التي من شأنها ليس فقط تعليم اللغة العربية وتقريبها من المتعلمين، بل المساهمة في انتشارها وعودتها إلى الصدارة كسابق عهدها من جديد.

لائحة المصادروالمراجع:

- ماجدولين النهيبي، دليل تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها (تخطيط -إنتاج – تقييم) دار كنوز المعرفة ، ط1 ، 2020م ، ص 59.
- أحمد محمد سالم وعادل السيد سرايا، منظومة تكنولوجيا التعليم، مكتبة الرشد الرياض، ط1 ،2003، ص:14.
- دراسات في أثر المعرفة وتكنولوجيا المعلومات في المنظمات، محمود حسن جمعة، حيدر شاكر نوري، 2015، المجلد 51 من المطبعة المركزية في جامعة ديالى، ص: 148
- الناجح عبد الرحيم، 2021 المقاربة التواصلية وتعليم اللغة العربية: المبادئ وآليات التفعيل، النداء التربوي، العدد 27.

- Tyagi, B. (2013). Listening: An important skill and its various aspects. The Criterion An International Journal in English, 12(1), 1-8.
- Usó-Juan, E., & Martínez-Flor, A. (2008). Teaching intercultural communicative competence through the four skills.
- Ma, T. (2010). Communicative listening training in English-features, strategies and methods. *Journal of Language Teaching and Research*, *1*(4), 464.
- Dell Hymes,(1967). "Models of the Interaction of Language and Social Setting",journal of social issues,V.13,N°.2 pp.8-28.